موت الشيخ

نسافيتك يا ألق السنين الرحبة الاضواء . ذبنا فيك .. لم نندم
لانا نحن من أكلت غيوم الهمس من أقدام رفقتنا ، وما قدحت
لانا حين نناى عنك يا جبل السكوت نعانق الرفضا
وسنرصيك لا ترضى ..
فلم افصحت حين أتاك صبيتنا الذين لووا على شفة المدى
في الصبح عنق الريح ،
ومدوا الكف للغرباء في الظهر ،
وفي العصر اكتووا بصياحك الساكت ؟!
وفي المغرب
توضا شيخهم ليؤمهم . فارتاع . مات الضوء فيه ، فمات
ولكن ، كان في محرابنا آهات
ضحكنا .. واستعرناها تزين في أزقة بيتنا مأساة
تبارى الصبية الجاءوك بالعدو
وقال الناديون جميع ما حفظوه في الميتم
وغنى البحتري ملكه :
« هوى .. أقعي هنا من قبل أن يعوي
ومثل الرعد أقبل دون برق ذلك الاطلس
وحين تدرّع الفرسان نحو نزاله .. خافا ! »
فقالت آهة زرقاء :
ـ من الشيخ الجديد يؤمكم .
يا ويلكم ، يا ويل ...
ـ بلى من شيخنا يا ناس .. هذا الليل ؟
وغبنا في السؤال . توالت الصلوات لا شيخ ولا جامع
تآكلنا الجذام العام تلو العام
صدى صرنا
تحدى ذلنا الارباب . ماتت مريم فينا . وشل الطفل من اعياء ..
صعدنا القمة الفرعاء
ذبحنا فوق رهبتها صبايانا ، فما انذبحت خطايانا ..
جدلنا من شعور نسائنا زنبق
وسيجنا أسرّتنا لعل ينام فيها صوتك الممنوع
يا جبل السكوت
وعل نكتشف الصياح مجنح الاطراف والذيل .
ولم ندر ،
بأن حناجر الآتين غبّ الموت والشكوى ، نحاسيه
تعانق في مفارزها الدخانيه
صديد الراحلين وكذبة الميعاد !
ولم ندر ،
بأن ضروعهم جفت ووراها جياع الفاتحين الصيد في البحر
وأين البحر ـ يا صخب الزحام الحالك الاصوات
أجاب الكل :
مات الشيخ ، ما قالا ...!
وقالت آهة زرقاء :
من الشيخ الجديد يؤمكم هذا العشاء ،
فويلكم يا ويل ...
ـ بلى ... من شيخنا يا ناس ، هذا الليل ؟؟

حلب — نبيه شعار

تحول عقله الى حفرية متحجرة لكائن منقرض قديم !.

ولكنه ان كان مجرد رجل باحث عن الرزق الذي يضمن له حياة ناعمة ، فهو ليس على استعداد لان يتحول الى مسخ هزأة يسخرون منه ، وليس على استعداد لان يتنازل عن اعتزازه بنفسه او احساسه بكرامته حتى لقاء هذا الرزق . ولذلك فما يكاد شاهين باشا كنج ـ مفتش الوجه البحري والقابع على قمة الهرم الطبقي في دلتا النيل كلها ـ ما يكاد هذا الباشا يقول له في لقائهما الاول : « ولكنك ظريف يا ملعون .. ظريف » ، حتى اجابه النديم في تبسط « نعم .. ظريف جدا » حتى لا يكون من حق الباشا وحده ان يرفع الكلفة بينه وبين نديم ، دون ان يكون من حق نديم ان يرفع الكلفة من جانبه . وليس لهذه الاجابة سوى معنى واحد : ان نديم ـ الذي يريد الناس ويريد الباشا ان يروه مسليا للباشا ومجرد مهرج يضحكه ـ لا يرى نفسه الا ندا لهذا الباشا كانسان ، ويملك عقلا لا يملكه الباشا وان كان الباشا يملك المال والمكانة الاجتماعية وأسباب الحياة المريحة التي يريدها النديم ويتشهاها لنفسه .

وفي قرية بدواي ، من قرى الوجه البحري ، يتعلم النديم شيئا اخر . يتعلم أن لطبقته المهددة بالتسول في الاسكندرية ، أشقاء لا حصر لهم في الريف ـ يتسولون فعلا . ولكن هؤلاء الاشقاء من الفلاحين الفقراء لا يفهمون عنه وان فهم هو عنهم .. انه يتحدث لغة لا يفهمونها .. ويعجز هو عن اكتشاف سر عدم فهمهم له ، رغم انه يفهمهم في اعماقه ويسعى الى ان يقيم نوعا من الحوار المتبادل بينهم وبينه منذ اكتشف كيف تتشابه معاناتهم مع معاناته هو في الاسكندرية ومعاناة طبقته هناك. كانت اللغة هناك هي حريته المطلقة السراح ، فما بالها الان تصبح سجنه ، وابوابه المغلقة هي شفاء هؤلاء الفلاحين المطبقة ؟!

ولكن النديم ، لم يكن على استعداد ـ في هذه الفترة التي تحول فيها الى معلم لاولاد الاعيان بعد ان كان نديما للاعيان انفسهم ـ لم يكن على استعداد لان يفعل شيئا اكثر من ان يتعلم . انه مجرد رجل باحث عن الرزق والمعرفة ، فليختزن اذن معرفته حتى تحين ساعة استخدامها ، وليطالب باجره ، فهذا هو الرزق الذي يريده الان .. وليكتشف عند مطالبته بهذا الاجر السر في ذلك الجدار الذي قام بينه وبين الفلاحين وعجزه عن اختراقه انه لم يكن في نظرهم سوى رجل من رجال العمدة واحد افراد حاشيته ، وليواجه الموت ـ موته هو ـ حين يفرر العمدة أن يحرقه حيا لتطاوله عليه .. وليهرب الى حيث يلتقي

ـ التتمة على الصفحة ٦٠ ـ